الدفنات الآدمية في بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ

زينب عبد التواب رياض خميس
أستاذ مساعد بقسم الآثار المصرية- كلية الآثار – جامعة أسوان
nfrtkmt77@yahoo.com

الملخص:

عبرت عادات الدفن في بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ عن طبيعة الحياة والمعتقدات الدينية التي كانت سائدة هناك خلال تلك الحقبة الزمنية الطويلة، إذ عُثر في مواقع بلاد الشام على العديد من الدفنات الآدمية ذات الأنماط المختلفة التي تنوعت ما بين: دفنات آدمية رقد فيها المتوفى في حفرة بسيطة بوضع الرقود، ودفنات قُيد فيها المتوفى ووثق بالحبال قبل دفنه، ودفنات وضع فيها المتوفى بطريقة مهملة في حفر النفايات، ودفنات تم وضع بعض الكتل الحجرية أعلى أجسام أصحابها ربما حفاظاً عليهم وتأكيداً على تثبيتهم في الأرض، ودفنات تم حرق أصحابها قبل أو بعد دفنهم بالمقبرة مباشرة، ودفنات أخرى تم فصل أجزاء من أجساد أصحابها عمداً وبطريقة مقصودة، وجميعها ممارسات لعادات جنائزية اتخذت سمات خاصة ميزت بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ.

وهناك من العادات الجنائزية ما ميز مكان دون سواه بسمات خاصة في عادات الدفن المتبعة، وإن كان هذا لا ينفي وجود تشابه في بعض العادات الجنائزية التي جمعت بين أغلب مواقع بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ في نسيج حضاري واحد كالدفن داخل الكهوف أو داخل المساكن أو نزع جماجم الموتى ووضعها في مكان مستقل كنوع من التقديس.

يهدف البحث في طياته إلى دراسة تلك الدفنات الآدمية، ومعرفة أنواعها وقوفاً على تفسير أسبابها والغرض منها، ومدى تطورها عبر تلك الفترة الزمنية، وتوضيح مدى التشابه والاختلاف فيما بينها، ومعرفة هل كان هناك أسباب مقصودة أدت إلى هذا التنوع والاختلاف في تلك الدفنات الآدمية، وما هي هذه الأسباب.

الكلمات الدالة: الدفن، الموت، التقديس، السحر، الحرق، سوريا، الأردن، فلسطين.

Abstract:

The prehistoric burial customs in the Levant were varied and expressed about the life and the religious beliefs which known there at that long time, this was evidenced by the individual burials which were found in various prehistoric sites of the Levant, it was varied between some types such as a simple human burial in which the deceased was lying in a pit as an asleep person, in many cases, there were other burials in which the deceased was tied with ropes before his burial, and other burials in which the deceased was placed in a neglected way in digging waste and some other burials were known the phenomenon of cutting parts of their owners' bodies in a

separate intentionally and in a deliberate manner, all of which are practices of funerary customs that took special features that distinguished the Levant during the prehistoric times.

There are some special features of funerary customs that distinguished a place without others, although this does not negate the existence of similarities in some funerary customs that known in most sites of the Levant during prehistoric times which connected all sites in a single civilized manner, such as burials inside caves or inside the homes or the habit of Removing the skulls of the dead and placing them in a separate place as a kind of sanctification.

The issue aims to study these human burials, to know their types, based on an explanation of their causes and purpose, and the extent of their development during that period of time, and to clarify the extent of the similarity and difference between them, to find out whether there were intended reasons that led to this diversity and difference in those human burials, and what are These reasons.

Key words: Burial, death, sanctification, magic, the burn, Syria, Jordan, Palestine.

المقدمة:

تتضمن عصور ما قبل التاريخ في بلاد الشام سلسلة من الأزمان والحقب التاريخية التي يصعب الإلمام بها في دراسة واحدة، ورغم ذلك كان من الضروري القاء الضوء عليها لتوضيح الخريطة الزمنية التي من خلالها سيتم دراسة الجذور الأولى لكل عادة من عادات الدفن التي عرفت في بلاد الشام آنذاك، وتتبع مدى تطورها خلال عصور ما قبل التاريخ - دون الاكتفاء بفترة معينة- ورسم صورة واضحة قدر الإمكان عن هذه العادات، وبطبيعة الحال لن تسرد الدراسة إحصائية كاملة لكل ما تم العثور عليه من دفنات آدمية، وإنما ستتناول نماذج من بعض ما عُثر عليه لكل عادة من هذه العادات متتبعاً إياها خلال عصور ما قبل التاريخ.

ولقد قسم العلماء المختصون عصور ما قبل التاريخ في بلاد الشام إلى عدة حقب زمنية هي :-

أولاً- العصور الحجرية وتنقسم إلى:

1. العصر الحجري القديم (Palaealithic) ويتكون من:

أ. العصر الحجري القديم الأسفل (حوالي 1.300.000-100.000 ق.م) (أور، 1995)

ب. العصر الحجري القديم الأوسط (حوالي 100.000-40.000 ق.م)

ج. العصر الحجري القديم الأعلى (حوالي 40.000-19.000 ق.م) ويؤرخه **أور** بالفترة ما بين (35.000 -10.000 ق.م) (أور، 1995)

ثانياً- المرحلة الانتقالية بين الانسان الجامع للقوت وبين الانسان المنتج للقوت وبوادر الزراعة

(Epi- palaeolithic) (أبو غنيمة، 2001، 3) وتشتمل على الثقافات التالية:

أ. الثقافة الكبارية (حوالي 19.000-12.000 ق.م) (البزور، 2003)

ب. الثقافة النطوفية وهي من أقدم حضارات العصر الحجري الوسيط (الدليمي، 2019)، وهي تنقسم إلى:

- نطوفية مبكرة (12.000-11.000 ق.م)

- ونطوفية متأخرة (11.000 -10.300 ق.م) (البزور، 2003)

ثالثاً- العصر الحجري الحديث "القرى الزراعية الأولى" (Neolithic): (10.000 – 9.500 ق.م) (محيسن، 2008) وتنقسم الى مرحلتين :

1- عصر حجري حديث مبكر (ما قبل الفخاري) (حوالي 8500-5500 ق.م) ينقسم العصر الحجري الحديث المبكر (الفخاري) إلى:

أ- العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (أ) 8300 -7500 ق.م، ويؤرخ أحياناً بالفترة (8300 -7500 ق.م) وقد ساد في هذه المرحلة ثقافتان هما الخيامية نسبة إلى موقع الخيام بفلسطين، والسلطانية نسبة إلى موقع تل السلطان بأريحا (البزور، 2003)

ب- العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) 7500 -5500 ق.

2- العصر الحجري الحديث المتأخر (الفخاري) (حوالي 5500 -3750 ق.م) (الحوراني، 1998)

رابعاً- العصر الحجري النحاسي "القرى الزراعية الحرفية" (حوالي 3750-3200 ق.م) (الحوراني، 1998)

عادات الدفن الآدمية في بلاد الشام

تنوعت عادات الدفن الآدمية في بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ تنوعاً كبيراً، فقدمت بما تحتويه من تفاصيل الكثير من المعلومات عن حياة أهل بلاد الشام ومعتقداتهم الدينية خلال تلك الفترة الزمنية، ولأهمية هذا

الموضوع كان لا بد من إلقاء الضوء عليه بنوع من التفسير والتوضيح وذلك من خلال تناول أنماط وأساليب عادات الدفن التي عُرفت آنذاك.

وسيتم تناول هذا الموضوع من خلال دراسة بعض النقاط الهامة وهي:

1- الكهف وارتباطه بعادات الدفن.
2- المسكن وارتباطه بعادات الدفن.
3- نزع جماجم الموتى.
4- تقييد المتوفى.
5- وضع الكتل الحجرية على جثمان المتوفى.
6- الدفن في حفر النفايات.
7- الدفن في حفرة ضيقة.
8- حرق جثث الموتى.
9- العنف والقتل العمد

1- الكهف وارتباطه بعادات الدفن

عاش الإنسان الأول في الكهف مُتخذاً منه مسكناً ومقبرة؛ مكان يجمع بين عالم الدنيا وعالم الآخرة (الرويشدي، 1969)، ومن ثم فقد رأى بعض الباحثين أن الكهف كان بمثابة نموذج متكامل لحياة إنسان عصور ما قبل التاريخ، فهو عالمه الصغير الذي يرمز إلي الحياة والموت معاً بل وهو أيضاً المكان المقدس الذي يمارس فيه طقوسه وممارساته الشعائرية (الماجدي، 1997).

ولقد كانت طقوس الدفن تتم داخل الكهوف في أغلب حضارات عصور ما قبل التاريخ، وقد وضح ذلك في مختلف مغاور وملاجئ بلاد الشام، إذ عُثر على العديد من الدفنات الآدمية في كهوف عدة كان قد سكنها إنسان النياندرتال مثل كهف شقبة بفلسطين والذي عُثر فيه على أدلة وجود حياة يومية وكذلك عُثر فيه على العديد من الدفنات الآدمية (Weinstein-Evron, 2003)وكذلك عُثر على العديد من الدفنات الآدمية في كهوف: الطّابون، الديدرية، الكبّارا، العامود وكهف الحلزون في فلسطين والذي يؤرخ بالعصر النطوفي (الحايك، 2005)، ولقد أشار **الماجدي** إلى ارتباط الكهف في كثير من الأحيان بالدفن الطقسي الذي تميز بنوع من الشعائرية سواء في أسلوب الدفن أو في إحاطة المتوفى بالاهتمام وتزويده بالعديد من أنواع المتاع الشخصي، ولقد اختص بهذا النوع من الدفن في رأي **الماجدي** ساحر القبيلة لما اشتهر به من القيام بأعمال السحر وقدرته على الاتصال بالأرواح وتسخيرها لأعمال كثيرة كالصيد واستنزال المطر والشفاء من بعض الأمراض، فحظى الساحر أثناء حياته بالمهابة وأصبح بمثابة الزعيم الديني، وكان بعد موته يُدفن وتُلحق به أدواته والأشياء التي كان يستخدمها في ممارسة طقوسه السحرية (الماجدي، 1997).

ولم يكن السحر حكراً على الرجال دون النساء، فلقد ظهر دور المرأة في الممارسات السحرية منذ العصر الحجري القديم الأعلى تقريباً (الماجدي، 1997)، ولقد عُثر في كهف وادي الحلزون بالجليل بفلسطين على ما يشير إلى ذلك (الدباغ، 1974) إذ عُثر في هذا الكهف على العديد من حفر الدفن، وعثر فيه كذلك على دفنة آدمية بدراستها تبين أنها لسيدة ربما كانت من الشامان، دُفنت ومعها بقايا العديد من الأجزاء الحيوانية التي تنوعت بين ظهر سلحفاة، بقايا من عظام حيوان "الأرخص"، وبقايا من عظام طيور كاسرة ربما كان "نسر"، وبقايا أخرى لعظام حيوانية مختلطة بخلاف بعض الأدوات العظمية التي كانت تستخدمها في أداء أعمالها السحرية (Grosmana, 2008) (شكل:1) ويمكن تأريخ الدفنة طبقاً لسماتها بالعصر الناطوفي (12.400- 12.000 ق.م تقريباً) (Bar-Yosef, 1998)، إذ بينت تلك الدفنة بخصائصها طبيعة الحالة الاقتصادية والدينية والاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة، وكيف كان الاهتمام بدفن الموتى من الأمور الهامة التي حرص عليها سكان بلاد الشام آنذاك. (Verhoeven, 2002)

- وبالنظر إلى تلك الدفنة يتبين مدى الحرص على إحاطة هذه المرأة بكافة أدواتها ومتاعها الشخصي، ربما كي لا تضطر روحها إلى مغادرة المكان للحصول على أي من أدواتها، فالدفنة لا تخلو من تقديس ورهبة لشخص هذه المرأة.

2- المسكن وارتباطه بعادات الدفن

مرت بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ بسلسلة من المراحل الحضارية التي طورت من حياة وفكر أهل بلاد الشام، وأدت بهم إلى التحول الاقتصادي الكبير الذي حدث لهم في العصر الحجري الحديث، وما صاحبه من تحول اجتماعي وحضاري أدى إلى تطور حياتهم الفكرية والروحية فانعكس ذلك في معتقداتهم وتقاليدهم الاجتماعية والدينية والجنائزية (محيسن، 2008).

ولقد ظهر لدى سكان بلاد الشام في هذا الشأن نوعان من أساليب الدفن استمرا جنب إلى جنب وهما:

أ- الدفن داخل حدود المنطقة السكنية

ب- الدفن خارج حدود المنطقة السكنية

فقد ارتبط المسكن لدى أهل بلاد الشام بالإقامة وبدفن الموتى وذلك منذ العصر النطوفي، إذ عُرفت خلال هذا العصر ظاهرة فصل رأس المتوفى ودفن الجمجمة منفردة داخل المسكن، واستمرت هذه الظاهرة موجودة طوال العصر الحجري الحديث وما تلاه (الدليمي، 2019)، حيث استمر سكان بلاد الشام خلال هذا العصر يقومون بدفن موتاهم إما تحت أرضيات البيوت أو بجوارها (الحايك، 2005)، وثبت ذلك في الكثير من المواقع منها: أريحا وأبو هريرة وعين غزال والمريبط. (الحوراني، 1998)

ويعد موقع أريحا بفلسطين من أهم المواقع التي زودتنا بأكبر عدد من المدافن في العصر الحجري الحديث قبل الفخاري أ في بلاد الشام، فقد تم الكشف فيها عن حوالي 276 هيكلاً بشرياً مدفوناً داخل حفر تحت الأرضيات السكنية وداخل المنطقة السكنية (أبو غنيمة، 2001)

وقد كثر العثور على دفنات المساكن في مختلف مواقع بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ، ومنها منطقة تل القرامل الواقعة على الضفة اليمنى لنهر قويق، وعلى بعد 25 كم شمال مدينة حلب السورية، و30 كم من الحدود التركية (كنجو، 2014) ويعد هذا المكان بموقعه الجغرافي المتميز أشبه بنقطة التقاء حضاري بين تركيا وسوريا وفلسطين (Kanjou, 2009)؛ وفيه عُثر على مستوطنة تؤرخ بالعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار(أ)، أي من 9400-7600 ق.م. (رجوب، 2016) ، وداخل المستوطنة عثر على 28 مقبرة تنوعت ما بين مقابر جماعية وأخرى فردية، ومقابر آدمية وأخرى حيوانية، تم دفنهم جميعاً في بيت واحد عُرف بـ "المنزل الجماعي المقدس"، وكان من بين المقابر الملفتة للنظر بهذا المسكن المقبرة رقم 4 وهي لرجل تم دفنه في حفرة بيضاوية ضيقة في وضع الجلوس، وقد فُصلت عنه جمجمته، وأُحيط هيكله العظمي بعدد من الكتل الحجرية، وعثر قرب موضع دفنه على موقد (كنجو، 2014).(شكل:2)

وفي نفس البيت عُثر على دفنة أخرى لرجل مقطوع الرأس ومدفون بوضعية فسرها **كنجو** بأنها تشير إلى عملية تضحية أو قربان بشري، حيث وضعت الأيدي والأرجل متباعدة تحت أرضية المبنى، وكانت جميع الفقرات العنقية موجودة باستثناء الرأس، إلا أنه لا توجد آثار قطع على الفقرات (كنجو، 2014).

- ربما كان لهذه الدفنة في هذا البيت الجماعي مغزى طقسي وشعائري مرتبط بهذا المكان وبالشخص المدفون.

3- نزع جماجم الموتى

نظر أهل بلاد الشام إلى الجماجم على أنها مركز الفكر والعقل والروح، وهذا ما جسدته المكتشفات التي أتت من العديد من مواقع بلاد الشام، حيث تم الكشف عن العديد من الجماجم المجصاة التي تم معالجتها بعناية خاصة ونُظمت في أماكن محددة كانت بمثابة مراكز شعائرية، ويدل التباين الواضح في أشكال تلك الجماجم وتقاسيمها على أنها تعود إلى أشخاص معينين ومعروفين في مجتمعهم، وهم على الأرجح يمثلون النخبة من القادة والكهنة من الرجال أو النساء، والذين أراد مجتمعهم الاهتداء بهم عبر الاحتفاظ بذكراهم وتخليدهم واحترامهم على مر الزمن (Santana & Velasco, 2012)، وهذا ما عرفه **كفافي** بـ "عبادة الجماجم" أو "عبادة الأسلاف" وهي من أهم العقائد التي كُشفت دلائلها في العديد من مواقع بلاد الشام (كفافي، 1986)، وقد أشارت **الحوراني** إلى أن عبادة الأسلاف كانت قائمة في الأساس على عبادة أرواح الموتى، فالخوف من المتوفى كان مصدر للسيطرة الدينية ومن ثم كان القيام بمختلف المراسم الجنائزية لاسترضاء هذه الأرواح (الحوراني، 1998)، وقد جُسدت هذه العقيدة من خلال الاحتفاظ بالجماجم البشرية المُجصاة التي فُصلت عن الأجساد وتمت معالجتها وقولبتها بالجص بعد كشط اللحم عنها، وبشكل يحافظ على

ملامحها الأصلية، مع الإشارة إلى العيون والحواجب والشعر بألوان أو أحجار خاصة، وكان بعد الانتهاء من هذه الأعمال جميها تُدهن الجمجمة بالمغرة الحمراء (عبد الرحمن، 2009)، وكان يتم الاحتفاظ بهذه الجماجم في مخابئ خاصة (Santana & Velasco, 2012) ، بعضها في بيوت السكن، ويُعتقد أنه كان يتم استخراجها أو استخدامها في المناسبات والشعائر الدينية التي مارسها السكان (محيسن، 2008)، ولقد تم الكشف في تل أسود وتل الرماد وفي أريحا بفلسطين عن العديد من الجماجم البشرية المُجصاة (شكل:3) التي وجدت في مجموعات فيما يعرف بالمخابئ مثل خبيئة أريحا التي عثرت فيها كاثلين كينون عن سبعة من الجماجم المجصاة التي تؤرخ ببداية العصر الحجري الحديث المبكر(Maier, 2017).

ويرى **أبو غنيمة** أن تلك المخابئ قد تكون بمثابة مراكز شعائرية يتم فيها الاحتفاظ بجماجم بعض الموتى من ذوي المكانة الاجتماعية المتميزة بين أفراد عائلتهم، وكان يتم إخراجها في أوقات معينة من العام للاحتفال ببعض المناسبات الدينية لسكان المكان. (أبو غنيمة، 2001)

وفي تل الرماد بسوريا عثر على مجموعة من الجماجم المجصاة، فُصلت جماجمهم عن بقية الجسد ووضعت على شكل مجموعات، في حفر خاصة في أرضيات بيوت السكن، أو على امتداد الجدران، أو داخل مخابئ خاصة بها عُرفت بـ "خبيئة الجماجم" (Contenson, 1966) (شكل:4)، وتكرر الأمر نفسه في منطقة تل قراصة الشمالي Tell ElQarassa جنوب سوريا، إذ عُثر على خبيئة لمجموعة من الجماجم الآدمية تم إحاطتها بعدد من الكتل الحجرية وكان برفقتها هيكل عظمي مفصول الأعضاء، مما يشير إلى نوع معين من عادات الدفن التي ميزت ذلك الموقع الذي يؤرخ ببداية العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري (ب) PPNB والعصر الحجري النحاسي. (Santana & Velasco, 2012)

وكانت عملية إعادة فتح بعض المقابر عقب الدفن الابتدائي لجثث الموتى من بين العادات الجنائزية المتبعة أيضاً في تل القراصة الشمالي، وكان الغرض من هذه العملية فصل الجماجم عن الهياكل العظمية وإعادة ترتيب العظام مرة أخرى بتلك المقابر(شكل:5) إلا أن هذا الأمر كان يخضع لنوع من التمييز في الاختيار، إذ عُثر على العديد من الهياكل العظمية المُكتملة، وبعض الهياكل العظمية منزوعة الجماجم ومفصولة الأعضاء، بما يوحي بطواعية الاختيار بين الهياكل العظمية، وخضوع البعض منها فقط لمثل هذه الممارسات الجنائزية، وربما كان ذلك التقليد يتم ضمن طقوس جنائزية معينة وهذا ما يؤكده عدم التكافؤ بين بقايا تلك الهياكل العظمية بما يوحي بنوع من الاختيار المقصود لهياكل عظمية دون سواها، ولأجزاء من الجسم دون الأخرى ضمن طقوس وممارسات جنائزية تضمنت القيام بمثل هذا الأمر (Santa & Others 2015). (شكل:6)

وفي تل الكرخ الواقع جنوب حوض الروج في محافظة إدلب بسوريا، والذي يتألف من ثلاثة تلال أثرية أهمها تل الكرخ (1) والذي يعود تاريخه إلى العصر الحجري الحديث الفخاري أ (الحايك، 2019)، تم الكشف عن أربعة مقابر

من بينها المقبرة رقم Str.926 والتي اشتملت على هياكل عظمية لإناث بالغات دفنت في وضع مُنثني، ملقاة على جانبها الأيمن، وهي محفوظة بشكل جيد عدا الجمجمة فهي مفقودة، رغم عدم وجود قطع في الفقرة العنقية، ويبدو أن جمجمتها قد أزيلت قبل دفن الهيكل العظمي، هذا هو النموذج الأول من تل الكرخ الذي يشير إلى فصل واضح للجمجمة قبل الدفن، كما اكتشف حول رقبتها وبالقرب من أسفل عمودها الفقري سبع خرزات مصنوعة من الصدف والعظم والحجر. (تسونكي؛ حيدر، 2011)

وترى **الحايك** أن الهياكل العظمية لنساء تل الكرخ تظهر عليهن اصابات المفاصل، ما يؤكد أنهن كن مصابات ببعض الأمراض الناتجة عن العمل وليس بسبب صغر عمرهن (الحايك، 2019)

وفي المقبرة رقم Str.927 تم الكشف عن ثلاثة هياكل عظمية لأشخاص: الأول لأنثى بالغة دفنت في وضع مثنى، ملقاة على جانبها الأيمن، الشخصان الآخران المدفونان معها هما صغار العمر تتراوح أعمارهما بين 4 - 5 أعوام، وقد وضعت جمجمتيهما على ظهر الأنثى كما عُثر على الفك السفلي لجنين في بطن الأنثى الرئيسية البالغة (تسونكي؛ حيدر، 2011). ويبدو أن هؤلاء الأشخاص الثلاثة قد ماتوا سوياً ودفنوا معا في مقبرة واحدة، كما عثر في المقبرة على زبدية صغيرة غير مكسورة وست خرزات مصنوعة من مواد مختلفة، بالإضافة إلى هذه المقابر فقد تم الكشف عن أحد المدافن الثانوية Str.930 بالقرب من الطرف الشمالي من المربع رقم E270b اشتمل على هياكل عظمية بشرية مفككة مختلطة مع عظام حيوانات كثيرة، وخصوصاً عظام الماشية بالإضافة إلى قطع فخارية وحجارة تبدو كأنها مطمورة بالأرض (تسونكي؛ حيدر 2011)، والشيء المميز هنا هو العثور على تراكم لمجموعة من الجماجم البشرية وعظام طويلة من الفخذ والعضد وضعت بشكل عمودي على اثنين من هذه الجماجم التي وُجهت إلى الشرق بينما رُتبت باقي العظام حول الجماجم (Tsuneki, 2011).

- ومن الواضح أن هذه المقبرة أشبه بمكان ذا صبغة طقسية شعائرية، كانت تتم فيه عادة نزع الجماجم وإعادة ترتيب بقايا الهياكل العظمية لتهيئة المكان لاستيعاب المزيد من الدفنات.

- وفي تفسير الغرض من احتفاظ أهل بلاد الشام بجماجم الموتى فقد رأى **كوفان** أن النظر إلى أهمية الرأس كمقر للروح أو وعاء للقوة المقدسة، كان هو الدافع إلى جمع الرؤوس وقيام معتقدات وشعائر حولها، وربما لعبت هذه الجماجم دور الحامي ضد القوى السحرية الخارجية (كوفان، 1988).

ورأى **محيسن** أن هذه الجماجم ربما كانت "ودائع تأسيس" تُبارك المنزل وتحميه، وربما كانت تجسيداً للأموات في بيوت الأحياء، وهي من الممارسات التي انتشرت على مساحة واسعة في مختلف أرجاء المشرق العربي القديم، من وادي الفرات شمالاً حتى حوضة دمشق ووادي الأردن جنوباً، وهي دليل واضح على الوحدة الحضارية الباكرة لا

سيما في العادات والمعتقدات (محيسن، 2008)، وترى **Maier** أن هذه الجماجم والبقايا الآدمية تحمي المكان من الأرواح الشريرة، وتبعد الحظ السيء.(Maier, 2017).

أما **كنجو** فقد ذكر أن فصل جمجمة المتوفى في بلاد الشام كان يتم بطريقة مقصودة تتسم بالتقديس، وقد اقترنت فصل الجماجم بعبادة أو تقديس الجماجم أو عبادة الأسلاف التي وضحت مظاهرها في شتى مواقع بلاد الشام خاصة في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري أ (كنجو، 2014) وكان الاعتقاد السائد آنذاك أن الجمجمة تحوي قوة الحياة الداعمة للخصوبة ولا بد من تبجيلها وتقديسها (Verhoeven, 2002) ووضح ذلك في شتى مواقع بلاد الشام سواء في فلسطين أو سوريا أو الأردن لا سيما في عين غزال (Rollefson, 1987).

- ولو تم افتراض أن الاحتفاظ بهذه الجماجم كان بمثابة تجسيد للأموات في بيوت الأحياء، فلا بد من معرفة الدافع لذلك، فربما كان الدافع هو إعزاز الموتى والرغبة في بقائهم معهم ولو جزئياً، وربما كان الدافع هو الخوف منهم لكونهم تركوا العالم المرئي إلى عالم غير مرئي فأصبح في مقدورهم الإتيان بأفعال لا قبل لهم بها، ومن ثم كان الحرص على الاحتفاظ بجماجمهم اتقاء لأذاهم، واستجلاباً لرضاهم.

4- تقييد المتوفى

كان للموت مهابته وقدسيته في بلاد الشام ووضح ذلك من خلال اهتمام أهل بلاد الشام بدفن موتاهم وإحاطتهم بنوع من التقديس تجسد فيما عُرف بعبادة أو تقديس الأسلاف سالفة الذكر، إلا أن هناك استثناءات في عادات الدفن ارتبطت في أغلب الأحيان بالسحرة، فرغم أهمية دور ساحر القبيلة بين قومه الا أن هناك سلبيات لم ينجو منها، فهناك من يراه وسيط بين العالم الآدمي وعالم الروح أو عالم الغيبيات، وهناك من يرى أن علمه بالسحر قد يكون سبباً للشرور والآثام، وهذا ما أدى الى دفنه أحيانا مُقيداً أو موضوعاً أعلاه بعض الكتل الحجرية كنوع من القضاء على سحره.(Lucero, 2007).

ولقد ظهرت إرهاصات مثل هذه الدفنات ذات المغزى الطقسي منذ العصر الحجري القديم الأعلى (LaMotta, 1998) ففي الأردن في منطقة عين قصية في "وادى الزرقاء" أو واحة الزرقاء، عثر على دفنة آدمية تؤرخ ببداية العصر الحجري القديم المبكر (Richter & others, 2010)، كانت الدفنة غير جيدة الحفظ، حيث كانت بقايا الهيكل العظمي متناثرة، وبدراستها تبين أنها لشخص بالغ، وبتتبع وضع العظام، واتجاهاتها، وانحناءة فقرات عظام الرقبة، تبين أن المتوفى كان قد تم تقييده قبل وضعه في حفرة الدفن، ثم هالوا عليه التراب، وبتأثير ضغط التربة وعوامل المناخ ساءت حالة الدفنة، فتناثرت بقاياه العظمية (Richter & others, 2010). (شكل:7)

- ولقد قرب البعض بين مثل هذه الدفنة، ودفنة وادي الحلزون بفلسطين آنفة الذكر والتي وصفت بأنها لشامان، حيث أن كلاهما يتميز بسمات خاصة ربما دلت على ممارسات خاصة للدفن كانت قد عُرفت آنذاك (Richter & others,

(2010 وفي تل القراصة الشمالي بجنوب سوريا عُثر في المقبرة رقم BC-5 عثر على دفنة آدمية لشخص راقداً على ظهره، كان الجثمان مُقيداً قبل دفنه، ووضع بمحور يمتد من الشمال الغرب إلى الجنوب الشرقي، ويرى كلٌ من **Santana** و **Velasco** وغيرهم من الباحثين أن هذه الدفنة كانت من الدفنات التي وضح فيها تعمد عدم انتفاع صاحب المقبرة بأي من الشعائر الجنائزية التي قد تفيده بعد الموت، ووضح ذلك من خلال تقييده قبل دفنه لتعجيزه عن الحركة، ومنع روحه من الخروج وبالتالي حماية الأحياء، تؤرخ تلك المقبرة بالعصر الحجري الحديث ما قبل الفخاري أ.(Santana & Others 2015)

- وربما كان الأرجح أن توثيق المتوفي بالحبال كان لحماية الجثة حيث أن بعض أماكن الدفن كانت مناطق مستنقعات وظروف التربة كانت لا تسمح بحمايتها، ومن ثم فتقييد المتوفى عند الدفن يعمل على الحفاظ على جثمان المتوفى بتثبيته في موضعه.

5- وضع الكتل الحجرية أعلى جسد المتوفى

كان الخوف من الموتى شعوراً عاماً ساد أغلب حضارات عصور ما قبل التاريخ، فنظراً لإحساس الرهبة من الموت كان الإنسان الأول يضع على أيدي وأقدام وصدور موتاه بعض الكتل الحجرية، ولقد عُرفت تلك العادة خلال العصر الحجري القديم الأعلى. (Belfer-Cohen, 1992)

ففي عيون الحمام Ùyun al-Hammam بالأردن عُثر في المقبرة رقم (1) على الدفنة (B) وهي دفنة (آدمية – حيوانية) تجمع بين هيكل عظمي لشخص بالغ وبرفقته جمجمة ثعلب، جاءت عظام الهيكل العظمي الآدمي متناثرة بالمقبرة ويحيط بها ويعلوها بعض الكتل الحجرية التي وُضعت قصداً (شكل:8)، وعثر كذلك بالدفنة على بعض الشفرات الصوانية والأدوات العظمية، وعلى قرون لغزال من فصيلة الغزال الأحمر، وكذلك عثر على بقايا من المغرة الحمراء أو التراب الأحمر.(Maher, 2011) ولقد كانت ظاهرة نثر التراب الأحمر من الظواهر المنتشرة في المقابر النطوفية، وقد أشار **سليم** إلى ارتباط المغرة الحمراء بموضوع الخلود واستمرار الحياة (سليم، 2000)، وأشار **خليف** إلى أن طلاء جثث الموتى بالمغرة الحمراء كان بمثابة تعويض عن الشحوب الذي يعتري الجثة (خليف، 2009)، وبالتالي إعادة الحياة إلى المتوفى بناء على اعتقادهم (الحوراني، 1998).

وتعد مقبرة عيون الحمام المذكورة أعلاه بكل تفاصيلها ومفرداتها من المقابر التي يُحيط بها الغموض، فهي دفنة شعائرية يُغلفها التقديس، حيث أُحيط صاحب المقبرة بالعديد من أنواع المتاع والأدوات الخاصة به والتي كان يستخدمها في أداء عمله، فربما كان يمتهن القيام بالممارسات السحرية باستخدام جمجمة الثعلب وتلك الأدوات الحجرية والمغرة الحمراء بما لها من دلالة سحرية لارتباط اللون الأحمر بالدم (Maher, 2011)، ولا شك أنه تقديس يمتزج بالخوف والدليل على ذلك هو الحرص على وضع بعض الكتل الحجرية أعلى جسم صاحب المقبرة، وكأنها إشارة الى الرغبة في إعاقته عن الحركة رغم وفاته، ربما خشية أن ترتد إليه الروح في العالم الآخر فيخرج

للأحياء أو تنبعث روحه للأحياء فتؤذيهم بالسحر، تؤرخ المقبرة بمنتصف العصر الحجري القديم الأعلى. (Maher, 2011)

ولقد استمرت عادة وضع الكتل الحجرية على جثمان المتوفى مُتبعة خلال العصر النطوفي ولكن كان يتم وضعها آنذاك على بعض الدفنات دون سواها، ربما كنوع من التمييز لمثل هذه الدفنات، ولقد أثبتت الأدلة الأثرية في فلسطين والأردن أن أغلب حفر الدفن خلال العصر النطوفي كانت توجد خارج حدود إقامة الأحياء، ومن ثم كانت الدفنات تغطى بألواح أو كتل حجرية (Belfer-Cohen, 1992)، وكانت حفر الدفن إما فردية أو جماعية بحيث كانت الهياكل العظمية موضوعه جنباً إلى جنب، وغطيت القبور الجماعية بلوح حجري كبير أو بعدة ألواح من الأحجار المسطحة (عبد الرحمن، 2009).

ووضح ذلك في بعض المواقع النطوفية ومنها وادي الحمة (27) وهو من أقدم مواقع الأردن التي تؤرخ بالفترة النطوفية المبكرة 14500- 1400 ق.م. (Al-Shorman; Khwaileh,2011) وفي عين الملاحة الواقعة في وادي الحولة، أعلى وادي الأردن على بعد 20 كم شمال شرقي كهف هايونيم (Mellaart, 1965)، عثر على دفنة لسيدة مُدِّدت على الجانب الأيسر في وضعية الانثناء وقد وضِع غطاء من أصداف الدانتليوم على رقبتها (الحايك، 2005، 7)، كما وضِعت مجموعة من الأحجار أعلى جسدها، تؤرخ المقبرة بالمرحلة النطوفية (Perrot, 1966).

وفي مغارة الواد التي تقع أعلى السفوح الغربية لجبل الكرمل في فلسطين (Garrod, 1937) ، تمَّ الكشف عن حوالي 97 مقبرة، كان من بينها مقبرة اشتملت على هيكل عظمي لرجل بالغ عُثر عليه خارج المغارة بالقرب من المدخل على عمق0.20متر، كان الهيكل العظمي ممدَّداً على الجانب الأيسر في وضع نصف منثني، واتجهت الرأس نحو الشرق وقد وضعِت صخرة كبيرة من الحجر الكلسي أعلى الجانب الأيمن لجمجمته. (Boyd, 2001) وفي موقع الحولة شمال فلسطين عثر في المقبرة رقم 2076 على دفنة آدمية لسيدة بالغة يتراوح عمرها بين 30-40 سنة، تم وضع كتلة حجرية ضخمة قرب جمجمتها، وتم وضع كتلة حجرية أخرى على مستوى أعلى من الأولى، تؤرخ المقبرة بفترة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ب. (Vered, 2015) (شكل:9)

وفي تفسير الغرض من وضع مثل هذه الكتل الحجرية على جثمان المتوفى فقد ذكر **خليف** بأن الغرض من ذلك هو الرغبة في كبح المتوفى وجعله لا يستطيع القيام والعودة إلى الحياة وبالتالي منعه إيذاء الأحياء، وأكد وجهة نظره من خلال اشارته إلى بعض الأبحاث الأنثروبولوجية التي جرت على قبائل بوبواس في غينيا الجديدة، حيث لوحظ أنهم كانوا يضعون الحجارة الكبيرة على رأس المتوفى وصدره وأقدامه. (خليف، 2009)

أما **أبو غنيمة** فقد اعتبر وضع مثل هذه الكتل الحجرية على جثمان المتوفى نوعاً من الممارسات التي عبرت عن الحرص على الحفاظ على المتوفى وتخليد ذكراه، وذلك بوضع الجثة داخل حفرة كان يحفرها الإنسان في المكان الذي

يقطن فيه، ويضع بعض الحجارة فوق الجثة كإشارة لمكان الدفن، أو كمحاولة مبكرة لتخليد المتوفى في منزله الأبدي، أو للحفاظ على جثة المتوفى من الحيوانات المفترسة، فاتجه الى محاولة تحقيق الخلود بوضع كتل حجرية فوق مكان الدفن، للحماية من ناحية ولتثبيت الاعتقاد بالأبدية من ناحية أخرى. (أبو غنيمة، 1998)

وقد أشارت **الحوراني** إلى معرفة بلاد الشام لتلك العادة منذ العصر الحجري القديم، وأوضحت أن الغرض منها كان مواراة الجثة وحمايتها من الحيوانات المفترسة، أو كدليل لوجود مدفن في المكان لمنع الاقتراب من المتوفى أو إيذاءه (الحوراني، 1998).

- ولكن الدارسة ترى أن الرأي القائل بتفسير وضع الكتل الحجرية على المتوفى كإشارة لمكان الدفن ولحماية المتوفى من الحيوانات المفترسة يتفق في حال كان الدفن بعيداً عن أماكن السُكنى، ولكن المعروف أن الإنسان في هذه المرحلة الزمنية كان يقوم بدفن موتاه في مكان سُكناه سواء في الكهوف أو المأوي أو في المساكن أو بالقرب منها بعد ذلك، أي أنه لم يكن في حاجة إلى دليل يشير إلى مكان الدفن، والدفنة بالفعل في حمايه بحكم وجودها مع الأحياء في نفس المكان، ولا شك أنهم كانوا سيحتاطون من الحيوانات لحماية أنفسهم والمقيمين معهم بالمكان.

أما الرأي القائل بأن وضع الكتل الحجرية على بعض الدفنات دون سواها كان بغرض التمييز فلا يشترط أن يكون التمييز في مجمله تميزاً إيجابياً يشير إلى التقديس أو التبجيل لصاحب المقبرة، فعلى العكس من ذلك، فربما كان التمييز هنا الغرض منه التثبيت والمنع بوضع مثل تلك الكتل الحجرية الضخمة أعلى طرفي جسد المتوفى (على أيدي المتوفى وأقدامه) ربما كمحاولة لمنع روح المتوفى من القيام ومنعها إيذاء الأحياء. (أبو غنيمة، 1998) ويؤكد **حسين** هذا الرأي قائلاً أن مهمة الأحجار الكثيرة ربما كان الغرض منها تعجيز المتوفى حتى لا ينهض في الليل ويُقلق الناس وهم نيام؛ فمن ثم كان يتم تقييد يديه وساقيه، ثم يوضع في حفرة ويُهال عليه التراب ويوضع أعلاه الأحجار.(حسين، 2014) ولقد اعتبر العديد من الباحثين ومن بينهم **Grosman**و **Munro**أن مثل هذه الدفنات هي دفنات لسحره أو شامان، فرغم أهمية الساحر وتقديسه في حياته، إلا أنه كان يُخشى من صاحب تلك المهنة بعد وفاته، فقد تحاول روحه بعد موته بالسحر إيذاء الأحياء، ومن ثم وضحت علامات التمييز على بعض مقابر تلك الفئة من البشر. Grossman, 2008)

- وأياً كان الغرض من وضع مثل تلك الكتل الحجرية على جثمان المتوفى، فالمشهد العام يؤكد وجود نوع من التمييز لأصحاب هذه الدفنات، وربما كان التفسير المنطقي لإحاطة هذه الجثث بالكتل الحجرية هو الحفاظ عليها وليس خوفاً من المتوفى أو كبحه وتكبيله كما ذكر البعض.

6- الدفن في حفر النفايات

ظهر في بلاد الشام نوع من الدفنات التي لم يُراع فيها اتباع أي نوع من عادات الدفن المعتادة، وإنما تم القاء جثمان المتوفى في حفر النفايات وأنقاض البيوت والخرابات وكذلك في أكوام القمامة (Mithen, S., & Others, 2015) وكان يدفن بطريقة مُهملة دون اعتناء، وذلك كما جاء في الجرف الأحمر، نحال حمر، تل الحولة وكفر حواريش وعين غزال بالأردن وأريحا والبيضا وبيسمون أو "بيسان".(الحوراني، 1998)

ففي موقع الأزرق بالأردن عثر على بعض الدفنات التي تؤرخ بنهاية العصر النطوفي كان من بينها تلك المقبرة التي عثر عليها في القطاع رقم 18 بحوض الأزرق، والتي اشتملت على العديد من العظام الآدمية المجمعة في حفرة واحدة بالجانب الغربي امتدت من المربع رقم3، وحتى المربعات رقم 2، 4، 6 بالموقع (Bocquentin, 2016) ، كانت البقايا العظمية لثمانية بالغين، وثلاثة متوسطي العمر، وكانت بصفة عامة غير جيدة الحفظ (Garrard, 1991) (شكل:10)، ربما أشارت هذه المقبرة إلى نوع من الدفن الجماعي كان قد عُرف في هذه المنطقة آنذاك. (Bocquentin, 2016) وفي عين غزال وضحت تلك الظاهرة في بعض الدفنات التي تؤرخ بالعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أ (Al-Shorman, 2011) ، إذ لوحظ وجود عدد من الهياكل العظمية الآدمية تم دفنها في حفر القمامة والنفايات، وكانت الهياكل العظمية الملقاة مكتملة وسليمة.(Santana, & Others 2015)

وقد عُثر في الجزء الأوسط من قطاع جبانة وادي فينان على الدفنة رقم O123 والتي عرفها كلٌ من **Mithen** و **Finlayson** و **Maričević** باسم "الدفنة المُتبقية" أو "الدفنة المجمعة"، وعثر فيها على أجزاء من قدم إنسان، وبعض أجزاء من هياكل عظمية مفككة، وأجزاء مختلطة من بقايا عظمية مختلفة، والاحتمال الأقرب أنها تمثل بقايا عظام مختلطة تم تجميعها في مكان واحد عُرف بـ "حفرة النفايات" والتي ظهرت في عدة مواقع تؤرخ بالعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) PPNB، وتكرر الأمر نفسه في الدفنة رقم O78، إذ عُثر فيها أيضاً على بقايا هياكل عظمية مفككة لأشخاص عده، فكان هذا القطاع أشبه بأرض النفايات.(Mithen, S., & Others, 2015)

وفي تفسير الغرض من مثل هذا النمط من الدفن فقد أشار **Rollefson** اعتماداً على دراسته لدفنات عين غزال إلى أن مثل هذه الدفنات ربما كانت لمجموعة من الأعداء، وتم التخلص منهم بهذا الأسلوب في الدفن.(Rollefson, 1999)

أما **Huntington** فقد ذكر أن الموت لم يكن مجرد حدث، وإنما كان له توظيفه في المجتمع طبقاً لوجهة نظره، إذ أشار إلى أن الموت كان بمثابة رابط اجتماعي يجعل أفراد المجتمع متحدين في نفس الأمر، فالقيام بالبكاء على سبيل المثال يحافظ على الروابط الاجتماعية بين الأحياء، تماماً كغيره من الممارسات الجنائزية المعروفة. (Metcalf, 1991) وقد فسر **Santana** و**Velasco** وغيرهم من الباحثين ذلك النمط من الدفن إلى وجود نوع من التمييز بين الأفراد بناء على مستوياتهم وطبقاتهم الاجتماعية، مما أدى إلى عدم تمتع هؤلاء الأشخاص بأي من التبجيل الذي ناله غيرهم عند الدفن.(Santana, Velasco, 2015)

وفسرت **الحوراني** هذه الوضعية في الدفن بأن هؤلاء الأشخاص المدفونين قد قاموا بانتهاك بعض العادات الاجتماعية، مما دفع القائمين على تطبيق مثل هذه العادات بإجراء العقوبة اللازمة، ومن المحتمل أن دفنهم بهذه الوضعية كان إحدى وسائل العقوبة المستخدمة.(الحوراني، 1998)

ورأى **أبو غنيمة** أنه ربما كان هؤلاء الأشخاص في معتقدات مجتمعهم أقل أهمية في الحياة، فتم التعامل معهم بهذه الكيفية بعد الموت (أبو غنيمة، 2001)، أما **Mithen** و **Finlayson** وغيرهم من الباحثين فقد استندوا إلى موقع فينان في تفسيرهم للغرض من هذا النمط من الدفن، وقد أشاروا إلى أن هناك صعوبة في تفسير مثل هذه البقايا العظمية المختلطة، ورفضوا الرأي القائل بأنها كانت دفنات لغرباء، إذ أنه ليس هناك دليل يؤكد ذلك في موقع فينان WF16، وأنه من المستبعد أن يُنظر إلى الغرباء بهذه النظرة المتجاهلة وأن يتم اعتبارهم غير مرغوب فيهم، وغير معروف بالضبط ما هي المدة التي حدث فيها تراكم مثل هذا الكم من البقايا العظمية والحطام، ولكن المؤكد أن هناك العديد من الممارسات التي تمت في الموقع، والعديد من عمليات الإبدال والتحليل قد حدثت، فأدت إلى هذا التراكم في حفر الدفن بالموقع، وقد أشاروا أيضاً إلى عدم إمكانية الجزم بفكرة الربط بين هذا النوع من الدفن، وبين الطبقة الاجتماعية لأصحابها، ومن ثم يؤكد كلٌ من **Mithen** و **Finlayson** أن تسمية "دفنات القمامة" غير مُنصفة وغير صحيحة، فربما كانت مخابئ للدفن سواء بشكل علني أو سري، وأنها تمت في إطار ما حدث من أنشطة وممارسات جنائزية بالمكان".(Mithen & Others, 2015)

- وترى الدارسة أن هذا الرأي ربما صدق في تفسيره لحفر دفن البقايا العظمية التي عُثر عليها في جبانة وادي فينان، ولكن يصعب التسليم به في حالة دفنات الهياكل العظمية الكاملة التي عُثر عليها مدفونه بطريقة مهملة في حفر النفايات في عين غزال.

- ومن ناحية أخرى لا بد من الأخذ في الاعتبار أن هذه النفايات ربما جاءت بفعل نشاط بشري لاحق تراكم عبر السنين فاختلط بعظام الموتى في هذه الحفر التي أُطلق عليها "حفر النفايات" وأن هذه النفايات لها ارتباط وثيق بما حدث من تطور ديموغرافي من نمو في عدد السكان وازدياد النشاط البشري.

7- الدفن في حفرة ضيقة

كان الدفن في حفرة ضيقة من أكثر عادات الدفن شيوعاً في مختلف مواقع بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ، ويصعب عمل تعداد أو حصر لكل ما عثر عليه من دفنات في حفر ضيقة، ولكن فقط سيتم الإشارة إلى أنماط من هذه الدفنات لمعرفة الغرض منها، فقد عثر في مقابر القطاع رقم WF16 بوادي فينان جنوب الأردن، على العديد من الهياكل العظمية التي دفنت في حفر ضيقة صغيرة، في وضع القرفصاء إحدى اليدين أسفل الجمجمة بما يعطي

الانطباع بالنوم، وفي بعض الحالات تم ربط الجثث أو لفها قبل الدفن، ويرى كل من **Mithen** و**Finlayson** أن الغرض من هذا الربط هو الحفاظ علي وضع المتوفى بهذه الكيفية داخل حفرة الدفن(Mithen & Others, 2015)

ـ إلا أن الدارسة لا تتفق مع هذا الرأي، فحفرة الدفن ضيقة بما لا يعطي مجالاً لتحرك الجثة أو تزحزحها، ولذا فالقول بأن الربط لتثبيت المتوفى لا يتفق مع الوضع العام للدفنة بصغر حجمها وضيق مساحتها، فلابد أن هناك سبب آخر للربط، ربما كانت الرغبة في التأكيد على منع المتوفى من الحركة ومنع روحه من الخروج من مقبرته.

ولقد عُثر في المقبرة رقم O24 شمال شرق وادي فينان، على دفنة لرجل في وضع القرفصاء، شديد انحناء الجسم والرأس، الدفنة عبارة عن حفرة ضيقة بشكل مُفرط، فكان جثمان المتوفى أشبه بالقوس في انحناءته، جاءت إحدى يدي المتوفى أسفل جمجمته وكأنه في وضع النوم(Mithen & Others, 2015) . (شكل: 11)

ـ وقد تنوعت الآراء بشأن تفسير الغرض من هذا النمط من الدفن، وإن كانت جميعها تدور في فلك الخوف من المتوفى، فقد كان الاعتقاد السائد أنّ الإنسان بعد موته ودفنه تعود إلى جسده الروح بعد رحيلها، وكان هذا الأمر من الأمور التي كان يُخشى عُقباها، وقد ذكر **الخواجة** أن الروح تكتسب قوة غريبة بسبب اتصالها بالمجال القدسي، وعودتها إلى الجسد مرة أخرى يُكسب صاحب الجثة نوعاً من هذه القوة غير المرغوبة، مما يُفسر الغرض من الدفن في حفرة ضيقة لمنع الجسد من التحرك والخروج إلى عالم الأحياء، وأشار **الخواجه** أيضاً إلى أن هذه الوضعية تشبه وضعية النائم لاعتقاد الإنسان بأن الموت يُمثل حالة من النوم الأبدي (الخواجة، 2007)، ولقد بيَن **حسين** أن الإنسان الأول لم يكن ليميز بين الحي والميت من المنظور غير المرئي، ففي اعتقاده أن شخصية المتوفى كانت لا تزال حية حتى بعد موته، وعلة ذلك أنه كان يراه في الأحلام فيحسب أنه يأتيه في نومه ليؤذيه، فإذا كان عدوًا شديد البطش وحدث أنه مات فإن موته قد يتسبب في نوع من المعاكسات أو المضايقات؛ لأن هذا العدو يخطر له في النوم ويفزعه بأحلام مرعبة، وبمرور الوقت بزغ بين الناس الاعتقاد بوجود روح في الجسم، وأن الإنسان يعيش في عالم آخر بعد الموت فنتج عن ذلك فكرة أن الروح تحتاج إلى طعام وشراب ولباس وأدوات دفاع وزينة، فبدأ الاهتمام والعناية بالمتوفى بوضع الطعام والشراب وبعض المتاع معه لينتفع به في عالمه الآخر.(حسين، 2014)

ـ وربما كانت هذه الوضعية تشبه تلك التي يتخذها حديث الولادة، وهذا الرأي قد تبناه **الخواجة** موضحاً أن وضع جثة المتوفى في حفرة ضيقة تقوم مقام الرحم، وقد يكون الدفن في حفرة ضيقة بهذا الوضع تعبيراً عن إيمان الإنسان بدورة الحياة والبعث والولادة من جديد (الخواجة، 2007) ، وأكد **خليف** (خليف، 2009) **وتشايلد** هذا الرأي إذ أشار كلاً منهما إلى أن الوضع الجنيني الذي كان يُدفن عليه المتوفى ربما كان الغرض منه أن يعود المتوفى إلى الحياة "ولادة جديدة للمتوفى" كون أن الأرض رحم (تشايلد، 1978)، وذلك كما حدث في الحضارة المصرية القديمة تماماً، إذ كان توسيد المتوفى على هيئة القرفصاء يعد وضعاً مقصوداً لذاته قلد المصريون به وضع الجنين في بطن أمه،

وهو ما ذكره **صالح** ضمن عدد من الآراء الأخرى التي قربت هذا الوضع أيضاً من وضع النائم العادي حين يستغرق في نومه (صالح، 2006)

وقد رأى **أبو غنيمة** أن دفن المتوفى في حفرة صغيرة قليلة العمق وبوضعية الجنين أنما يعود لصغر مساحة المناطق المسكونة، وصلابة أرضية مناطق السكن، سواء في الكهوف أو في العراء. (أبو غنيمة، 1998) والرأي نفسه ذكره **صالح** في تفسيره لمثل هذا النوع من الدفن في مصر القديمة، إذ أشار إلى أن أغلب أهل فجر التاريخ اضطروا إلى إيثار وضع الانثناء لموتاهم نتيجة لضيق مساحة الحفرة التي كانوا يستطيعون حفرها بأدواتهم المتواضعة في طبقات الحصباء أو الرمل أو الصخر نفسه (صالح، 2006).

- وتتفق الدارسة مع هذا الرأي الأخير إذ هو الأقرب إلى الصواب لا سيما في هذه الحقبة الزمنية.. فربما كان السبب في ذلك يرجع لحالة وإمكانيات أهل المتوفى فقد تكون متواضعة بما لا يسمح بالدفن في مقابر أكبر حجماً من ذلك، وقد يشير أيضاً إلى طبيعة الصخر أو إلى مستوى أدوات الحفر.

8- حرق جثث الموتى

عُثر على العديد من الدفنات الآدمية المحترقة في العديد مواقع بلاد الشاد خلال عصور ما قبل التاريخ، ففي منطقة بيسان في وادي الأردن الأعلى في شمال فلسطين، تم اكتشاف أقدم آدمي تم حرقه عن عمد في الشرق الأدنى القديم، لم يتم إلقاء الجثة في النار، وإنما رُتب لحرقها بطريقة مقصودة، فكانت المقبرة أشبه بمحرقة جنائزية (Geggle, 2020)، وقد ذكرت **Bocquentin** في دراستها للمقبرة أن المتوفى دُفن في وضع جلوس، مع ثني ركبتيه إلى صدره في حفرة تشبه الفرن، ثم تم اشعال النيران بجوار الجثمان أو تحته، كان الشخص المحترق شابًا بالغًا وكانت العظام المتبقية متضررة للغاية (شكل:12)، ومع ذلك كشف تحليل العظام أن هذا الشخص قد نجا من إصابة مروعة، إذ وجد الباحثون شظية حجرية بطول 0.5 بوصة (1.2 سم) مغروسة في عظم الكتف الأيسر، وهي إصابة من المحتمل أن تمزق العضلات وتسبب على الأرجح "ألمًا شديدًا ولكن ليس بالضرورة ضعفًا في الوظيفة" وبعدها بدأت العظام في الالتئام، ولكن بعد ذلك "مات حرقاً بهذه الكيفية (Bocquentin & Others, 2020)، ويلاحظ أن القبر كان صغير الحجم على شكل حرف U يشبه الفرن، قطره 32 بوصة فقط وعمقه 24 بوصة (80 × 60 سم) تم تبطينه بالطين الذي استخدمه هؤلاء الناس من العصر الحجري الحديث لصنع الطوب لمنازلهم، ويبدو أن حفرة الدفن مصممة لتعمل كفرن، وبمجرد اكتمال "الفرن"، تم وضع جثة المتوفى في وضع الجلوس، مع وضع الجزء العلوي من الجسم على الجدار الجنوبي (Bocquentin & Others, 2020) ، ومن المحتمل أن يكون الجسد قد وُضِع على منصة نقالة فوق المحرقة لأن قاع الحفرة لا تظهر عليه علامات الاحتراق، ربما لأن النار لم تكن شديدة السخونة في قاعدتها بينما جدران القبر احترقت، وهو أمر منطقي لأن النار كانت ستكون أكثر سخونة في الأعلى، حيث كان هناك

المزيد من الأكسجين لتزويدها بالوقود، وبعد اندلاع الحريق يبدو أن الجزء العلوي من الجسم سقط للأمام واستدار. (Geggle, 2020)(شكل:13)

ولقد تبين وجود نسبة عالية من النباتات المعروفة باسم نباتات السردج، وهي "نباتات نباتية محبة للماء ولها سيقان إسفنجية وتستخدم بشكل شائع في صناعة السلال والحصير"، وربما كان الشخص المحترق ملفوفًا في كفن من نباتات السرد، وقد ذكر **Geggle** أن هذه الممارسة كانت قد عُرفت منذ العصر النطوفي وأنها ظلت موجودة أيضًا في مدافن أخرى من العصر الحجري الحديث في بلاد الشام(Geggle, 2020).

ولقد كشف تأريخ الكربون المشع أن صاحب الدفنة كان قد عاش في وقت ما بين 7031 قبل الميلاد و6700 قبل الميلاد ، خلال ثقافة العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار أ، هذا يعني أن المتوفى عاش بين المزارعين الأوائل الذين دجّنوا بعض الحبوب والحيوانات، لكنهم لم يتوصلوا بعد إلى كيفية صنع الفخار. (Bocquentin & Others, 2020)

ولقد تم الكشف في بيسان عن 33 مقبرة أخرى يعود تاريخها إلى ما قبل وأثناء ثقافة ما قبل العصر الحجري الحديث للفخار، خمسة منها تحتوي على عمليات حرق "ثانوية" لأفراد جُففت رفاتهم أولاً ثم أحرقت فيما بعد، أما حفرة المحرقة المذكورة أعلاه هي المقبرة الوحيدة المعروفة من الموقع التي تحتوي على جثة تم حرقها بمجرد دفنها، وذلك فقًا للتحليلات الكيميائية التي تم اجراؤها (Cowie, 2020)

وفي تل الكرخ عُثر في المربع رقم E271 على عدد من حفر الحرق والمدافن الرئيسية والثانوية، وعلى مقربة من هذا المربع تم الكشف عن المقبرة رقم Str.919 وتبين بالدراسة أنها أربعة حفر كان بمثابة محارق للجثث (Tsuneki, 2011, 84)، اكتشفت الحفرة الرابعة في الجزء الشمالي الغربي من المربع E271b، تم كشف النقاب عنها في حفرة داخل مقبرة الكرخ النيوليتية، وهي حفرة مستطيلة الشكل مليئة بالتربة المحروقة والرماد الأبيض والأسود، عثر في أسفلها على مواد عضوية سوداء، كما اكتشف فيها رفات ما لا يقل عن خمسة أشخاص وكان هناك الكثير من العظام التي تحولت إلى اللون الأبيض نظرا لارتفاع درجات الحرارة الناجمة عن الحريق، ومع ذلك لا تزال بعض العظام سوداء وبنية رغم أن معظم العظام كانت مفتتة، إلا أنه لا تزال بعض أجزاء الهيكل العظمي واضحة، تجدر الإشارة إلى أن هذه الجثث تم حرقها في هذه الحفرة بعد وقت قصير من تحلل هذه الجثث في أماكن أخرى، ولم يعثر على متاع جنائزي في هذه الحفرة. (تسونكي؛ حيدر، 2011) وقد عثر في الدفنة رقم Str.746 على جمجمة وعظم عضد محروقين مع بعضهما في المدفن، بما يؤكد على إحراق جثث الموتى.(تسونكي؛ حيدر، 2008)

وفي وادي الحمة (27) بغور الأردن ظهرت عادة حرق الجثث إذ عثر في بعض الدفنات على بعض الجماجم الآدمية لأشخاص بالغين بدى عليها آثار حرق، وهي تؤرخ بالعصر الحجري الحديث قبل الفخار أ. (أبو غنيمة، 2001)

وفي منطقة تل السعيدية Tell es-Sa.idiyeh بالأردن أيضاً عُثر على بعض مظاهر حرق جثث الموتى، والتي تُشير إلى نوع من تقديم الأضاحي البشرية في المنطقة، وهي تؤرخ بالعصر البرونزي الأوسط والمتأخر بما يشير إلى استمرار تلك العادة بعد عصور ما قبل التاريخ أيضاً، جاءت الدفنات وقد اشتملت على العديد من العظام البشرية المحترقة الناتجة عن حرق الجثث، ولا تظهر مدافن العصر البرونزي المتأخر التمييز لا في الجنس ولا في العمر (Al-Shorman; Khwaileh,2011)

ولقد تعددت التفسيرات بشأن تلك الدفنات المحترقة، فربط البعض في تفسيره بين النار والعقيدة، إذ كان اكتشاف النار واستعمالها أمر ينطوي على الكثير من الأبعاد العملية والروحية للإنسان البدائي، فلقد كانت النار تحمي كهوف الإنسان من الحيوانات المفترسة من ناحية ومن البرد القارس من ناحية أخرى، فأصبح الإنسان باستخدام النار أكثر قوة من ذي قبل، وبدء يحيطها بهالة من القدسية، وبعد أن حركت النار النوازع الدينية الأولى، ظهرت إلى الوجود ملامح تقديس الإنسان للنار (Kulmar, 2005) ولقد أشار **الماجدي** إلى ارتباط النار في عقيدة الإنسان البدائي ببعض الرموز الطوطمية التي جمعت شمل القبيلة في صلة واحدة قوية عُرفت باسم الطوطم. (الماجدي، 1997) وبين **Blackman** أهمية النار في حياة الإنسان البدائي بصفه عامة، موضحاً أنها كانت بالنسبة له مصدر للحماية، وأنه كان حريص على بقاءها مشتعلة ليلاً لتحميه من الحيوانات المفترسة ومن الأرواح الشريرة، وحرص كذلك على إشعال النار بالقرب من الطفل الوليد بعد ولادته، وذلك ظناً أن الأرواح الشريرة تكون في انتظار الظلام لتهجم عليه، ومن ثم كان بقاء النار مشتعلة يوفر نوعاً من الحماية للرضيع ووالدته من شرور الأرواح المؤذية. (Blackman, 1916) وأشار **خليف** إلى حرص الإنسان الأول في المشرق العربي على دفن موتاه داخل الكهوف بالقرب من المواقد كما كان يفعل النياندرتال، ربما لأن برودة الجثة دفعتهم لتدفئتها عسى أن تعود اليها الحياة. (خليف، 2009)

وترى **الحايك** أن حرق المباني كان من أدلة وجود صراع أو حرب في بعض مواقع بلاد الشام خلال هذا العصر، وأنه قد عُثر في منطقة بقرص بسوريا على بقايا بناء محترق، وأنه قد عُثر داخل هذا البناء على بقايا هياكل محروقة، ضمت على الأقل خمسة هياكل عظمية لأطفال وأشخاص بالغين بينهم سيدة حامل، بلغت من العمر تقريبا 25 سنة (الحايك، 2019)

- وهكذا تنوعت الآراء في تفسير الغرض من تلك الدفنات المحترقة بين وجهة النظر الفلسفية ذات المنظور الديني التي اتخذت من النار شيئاً مقدساً واعتبرت أن حرق المتوفى أو دفنه قرب موقد للنار ربما قد يمنحه دفئ وحماية النار، أو ربما يتحد مع النار المقدسة، وبين وجهة النظر الواقعية التي ربطت الحرق بوجود حروب أو صراعات، وهناك من هذه التفسيرات ما ينطبق على حالة ولا ينطبق على أخرى.

9- العنف والقتل العمد

عُثر في بعض مواقع بلاد الشام على بعض الدفنات الآدمية التي فسرها بعض الباحثين بأنها دفنات تعرض أصحابها للعنف الذي أدى إلى الموت، وقد بينت **الحايك** أدلة وجود العنف الجسدي في بعض دفنات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام لا سيما سوريا(الحايك، 2019)، ففي موقع أبي هريرة شمال غرب سوريا (Boyd, 2016)عُثر على هيكل عظمي لشاب بالغ كان قد غُرس رأس سهم في تجويف صدره أسفل الأضلاع، ووجود السهم في الصدر دليل واضح على أن الموت كان نتيجة العنف والقتل المتعمد (الحايك، 2019)، وفي تل القرامل بينت **الحايك** أيضاً أنه قد جاءت أدلة وجود عنف في بعض دفنات الموقع، ففي القبر رقم 2 ظهرت آثار تقطيع واضحة على الفقرات الأولى والثانية من عنق صاحب الدفنة، وفي مقبرة أخرى بنفس لموقع عُثر على دفنة أخرى يظهر على الفك السفلي آثار خطوط متوالية طولية متجهة من الأعلى الى الأسفل مما يد ل على عملية قطع متعمد للرأس، والهيكل العظمي لشاب بالغ (الحايك، 2019).

- يخالف كنجو رأي الحايك في هذا الشأن، فقد أشار **كنجو** إلى أن فصل الجمجمة باستخدام أداة صوانية حادة كما في دفنات تل القرامل كان يتم بصورة متعمدة بعد الدفن مباشرة، وأنه لم يكن الغرض منه العنف وإنما هو تطبيق لعادة عزل الجماجم التي ربما ترجع بجذورها إلى الفترة النطوفية وأن الغرض منها تقديس وعبادة الأجداد (كنجو، 2014).

وفي تل الكرخ أشارت **الحايك** إلى أنه قد عُثر على عدد كبير من الهياكل العظمية الآدمية التي ظهر عليها آثار العنف الذي كان سبباً مباشراً للوفاة (الحايك، 2019)، منها الهيكل العظمي رقم (1054)، وهو لشاب بالغ دُفن في وضعية غريبة، كانت ساقه اليمنى مطوية وقد تم وضع أصبع القدم الكبرى اليسرى بالقرب من الكتف، كما كُسر عظم الفخذ اليسرى نصفين وانحنى على العكس، وقد فسر **Tsuneki** هذه الكسور بأنها ربما حدثت نتيجة السقوط من مكان مرتفع أدى للوفاة (Tsuneki, 2011) (شكل:14)، وقد عُثر على هيكل عظمي آخر لشخص يتراوح عمره ما بين 35-40 سنة عند الوفاة (Tsuneki, 2011) حيث وجدت فجوة في العظم الصدري الأيسر، وأخرى في الفك السفلي، ولا بد أن كسر الجمجمة كان السبب المباشر للوفاة، كما عثر في تل الصبي أبيض على هيكل عظمي تظهر عليه كسور في الجمجمة، وأشارت **الحايك** إلى أن سبب الكسر كان العنف وليس نتيجة ممارسات طقسية، وعلى الأرجح أن الدفنة تمثل عملية قتل. (الحايك، 2019)

وقد أشار **Tsuneki** إلى العثور على العديد من الهياكل العظمية المصابة لإناث أيضًا وقد وضح عليهم وجود آثار لكسور عده بالعظام، وذلك كما في حالة الهيكل العظمي رقم 803 وهو لأنثى بالغة دفنت في وضع شديد الإنحناء على جانبها الأيمن وبدى عليها آثار كسور متعددة بالعظام (شكل:15)، وكذلك الهيكل العظمي رقم 909 لأنثى بالغة أخرى لديها غزارة في آثار كسور العظام، تم دفنها في وضع ضيق على جانبها الأيسر ويبدو أن هاتين المرأتين عانتا من بعض العنف. (Tsuneki, 2011) ولقد ذكر **Tsuneki** ذلك مشيراً إلى أن هذه الهياكل العظمية المصابة ربما

كانت قد تعرضت إلى مستوى معين من العنف بين الأفراد في المستوطنة، خاصة في حالة الذكور البالغين؛ فقد يكون البعض منهم قُتل بالعنف، وربما كانت الإصابة والأمراض المرتبطة بسوء التغذية أيضاً من أسباب الوفاة للبعض الآخر.(Tsuneki, 2011)

ـ يمكن القول بناء على ما سبق أن عادات الدفن الآدمية التي عُرفت في بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ لم تكن بمنأى عن المجتمع وثقافته وأحداثه ومعتقداته، وأن هناك من هذه الدفنات ما اتخذ طابع شعائري طقسي، وهناك ما اتخذ طابع يغلب عليه العنف الناتج عن أوضاع قد تكون دينية أو اقتصادية أو سياسية تتعلق باستقرار وأمن المنطقة، ولسنا بصدد سرد وتتبع جميع ما تم العثور عليه من دفنات آدمية ببلاد الشام إذ أن ذلك لا يسعه دراسة واحدة، ولكن تم القاء الضوء قدر المستطاع على أهم ما عُرف من أنماط لعادات الدفن الآدمية في بلاد الشام خلال تلك الحقبة الزمنية، لتكوين صورة عامة قدر المستطاع عن حياة أهل بلاد الشام وعقائدهم من خلال دراسة عاداتهم الجنائزية التي ظهرت في مختلف مقابرهم خلال عصور ما قبل التاريخ.

نتائج البحث:

ـ تشير الدفنات الآدمية المتنوعة التي عُثر عليها في مواقع بلاد الشام إلى مدى الثراء الفكري الذي تميزت به مجتمعات بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ، والذي وضح من خلال تنوع العادات الجنائزية .

ـ عاش الإنسان الأول خلال عصور ما قبل التاريخ في خوف من المجهول، ولأن المتوفى بعد تركه الحياة الدنيا ينتقل إلى عالم الغيب، فكان الاعتقاد أنه يكتسب قوة غير مرئية من هذا العالم، ولذا كان من الطبيعي أن يخشى الأحياء من الموتى، فدفعهم هذا الخوف إلى تقديسهم وإلى القيام ببعض الممارسات الدينية والشعائرية والجنائزية للمتوفى.

ـ ارتبط الكهف في فكر انسان عصور ما قبل التاريخ بالحياة والموت معاً، ففيه كان يحيا وفيه كان يُدفن بعد موته، ولقد فُسرت بعض دفنات الكهوف بأنها كانت دفنات شعائرية ذات مغزى طقسي، وأنها ارتبطت في كثير من الأحيان بشخصيات بعينها كانت لها مكانتها بين قومها، كأن يكون ساحر القبيلة أو زعيمها الديني، فكان يتم دفنه في الكهف بعد موته محاطاً بمتاعه الشخصي وأدواته، واصطبغت تلك الدفنات بالهيبة والتوقير لأصحابها وإن كان هذا لا ينفي العثور على دفنات آدمية أخرى بالكهوف لغير السحرة والشامان، إذ اتخذ الكهف مأوى ومكان للدفن منذ العصر الحجري القديم الأوسط.

ـ كان دفن الموتى داخل حدود السكن أو بالقرب منها أمر طبيعي، لا سيما وأن الإنسان كان قد اعتاد قبل ذلك على دفن موتاه في الكهف الذي كان يحيا فيه، وبتطور الفكر الديني للإنسان تحول مكان الدفن من الكهف إلى المسكن، وكان الدفن يتم أسفل أرضيات المساكن أو بالقرب منها كنوع من الإعزاز للمتوفى.

- عُثر في العديد من موقع بلاد الشام على دفنات آدمية تم توثيق المتوفي فيها بالحبال، وقد اختلفت الآراء بشأن تفسير الغرض من تقييد المتوفى عند الدفن بين الخوف عليه والخوف منه، إلا أن الأرجح أن التوثيق بالحبال كان لحماية الجثة، حيث أن بعض أماكن الدفن كانت مناطق مستنقعات وكانت ظروف التربة لا تسمح بحمايتها، ومن ثم فتوثيق المتوفى كان فيه نوع من الحفاظ على جثمان المتوفى بتثبيته في موضعه، وهناك من اعتبر أن ذلك التوثيق بمثابة أحد الطقوس الجنائزية غير المنتشرة.

- عُرفت عادة فصل جماجم الموتى منذ العصر النطوفي تقريباً، وكان يتم الاحتفاظ بهذه الجماجم المنزوعة في المسكن أو في مكان خاص كنوع من التبجيل والتوقير للمتوفى، وكان ذلك من العادات المعروفة في بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ، والتي أُطلق عليها مصطلح "عبادة الأسلاف".

- يختلف مفهوم التقديس من مكان إلى آخر ومن بلد إلى سواه، ففصل جمجمة المتوفى على سبيل المثال كان يعد نوعاً من التقديس لدى أهل بلاد الشام إلا أن بعض الحضارات الأخرى اعتبرت ذلك بمثابة نوع من اللعن والهلاك للمتوفى إذ يمثل خسارة لجزء من جسده، وذلك كما كان الحال في مصر القديمة، فعادات الدفن ما هي إلا أعمال وممارسات يختلف إدراكها ومدى الوعي والاعتراف بها من مجتمع إلى آخر لا سيما خلال عصور ما قبل التاريخ.

- كان الاعتقاد السائد لدى الإنسان البدائي أن روح الساحر بعد موته ستحاول عن طريق السحر الخروج من المقبرة لإيذاء الأحياء، ومن ثم وضحت مظاهر الكبح والتعجيز في بعض دفنات تلك الفئة من البشر، واستوى في ذلك الرجال والنساء.

- كان الدفن في حفر النفايات أحد أنماط عادات الدفن التي وجدت في بعض مواقع بلاد الشام، وقد ربطه البعض بمستوى الطبقة الاجتماعية، وربط البعض الآخر بما حدث من تطور ديموغرافي من نمو في عدد السكان، وتراكم النشاط البشري عبر السنين.

- كانت عملية إعادة فتح المقبرة بعد فترة من دفن المتوفى، ثم تقطيع وإعادة توزيع أجزاء الهياكل العظمية بعد فصلها من العادات الجنائزية التي عُرفت في بعض مواقع بلاد الشام، ولم تكن تلك العادة تُطبق على جميع الموتى، وإنما كان هناك انتقاء للبعض دون الآخر كنوع من التمييز.

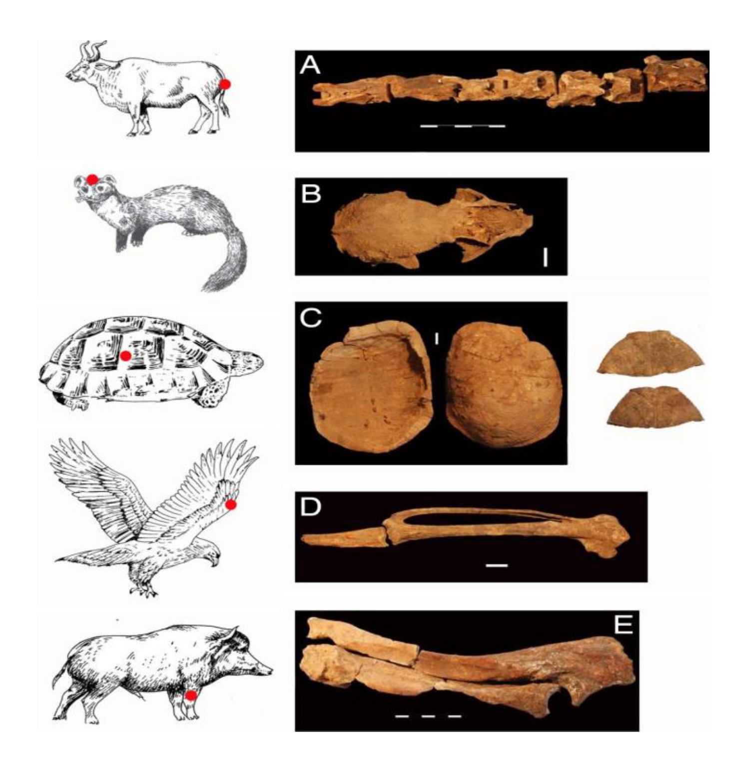
- ربط بعض الباحثين بين دفن المتوفى في حفرة ضيقة بوضع القرفصاء وبين وضع الجنين في رحم الأم، والرغبة في البعث والميلاد من جديد وذلك كما حدث في مصر القديمة تماماً إذ قرب المصريون القدماء أيضا بين وضع القرفصاء للمتوفى ووضع الجنين في بطن الأم، أو وضع النائم المستغرق في نومه، وربط البعض الآخر بين تلك الوضعية وبين بداءة الفترة الزمنية وقلة الإمكانيات، والوضع الاجتماعي البسيط لصاحب الدفنة وهو تفسير تشابهت فيه أيضاً الآراء المذكورة سواء في بلاد الشام أو مصر القديمة آنذاك.

- ظهرت في بعض مواقع بلاد الشام عادة حرق جثث الموتى، وذلك من خلال وضع المتوفى في حفرة أشبه بحفر النار كمحارق للجثث، وكان يتم تقييد المتوفى في الغالب عند حرقه وذلك كما جاء في دفنة بيسان المحترقة بالأردن، وقد ربطها البعض بين عادة حرق جثث الموتى وعبادة أو تقديس الأسلاف وقد ظهرت تلك العادة بدءا من الفترة النطوفية المبكرة في كهف كبارا واستمرت فيما بعده من عصور حتى وصلت إلى العصر البرونزي والحديدي.

- عُثر في بعض مواقع بلاد الشام على بعض الدفنات الآدمية التي فسرها بعض الباحثين بأنها دفنات تعرض أصحابها للعنف الذي أدى إلى الموت، وكان الموت في هذه الحالة يتم من خلال القتل العمد لصاحب الدفنة ربما كنوع من العقاب، كما ظهرت دفنات أخرى في بعض مواقع بلاد الشام فُسرت من قبل بعض الباحثين بأنها دفنات لأضاحي بشرية.

- عبرت عادات الدفن بما زودتنا به من معلومات ولقى أثرية عن حضارة أهل بلاد الشام خلال عصور ما قبل التاريخ بنوع من الوضوح والتفصيل.

قائمة اللوحات والأشكال



(شكل:1)- بقايا عظام الحيوانات التي عُثر عليها بدفنة كهف الحلزون بفلسطين

Grosman, L., Munro, N.D., & Anna Belfer-Cohen, A., 2008, Fig.5.



(شكل:2)- الدفنة رقم4 لرجل في وضعية الجلوس- البيت الجماعي المقدس بتل القرامل

(كنجو، 2014)، اللوحة رقم 5.




(شكل: 3)-جماجم مجصاة عثر عليها بأريحا وتوجد حالياً بالمتحف الأثري بالأردن

Maier C.I., 2017, Fig.2.



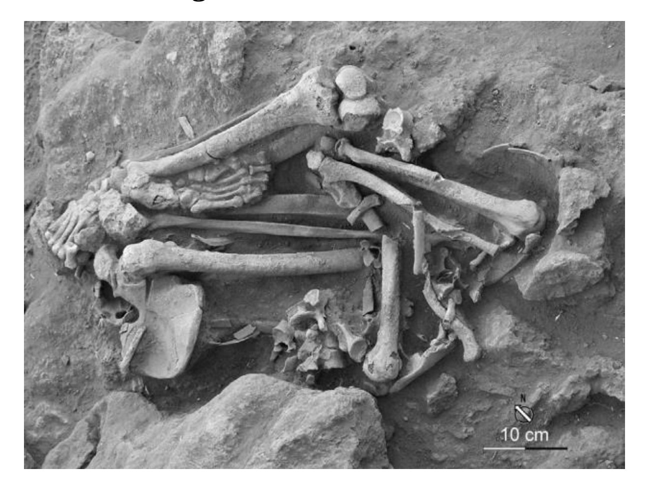
(شكل:4)- خبيئة جماجم مُحاطة ببعض الكتل الحجرية – تل القراصة الشمالي بجنوب سوريا - بداية عصر ما قبل فخار العصر الحجري الحديث (ب)

Santana, J., Velasco, J., Ibáñez, J.J., & Braemer, F., 2012, P.209, Fig.3.



(شكل:5)- الدفنات BC-11 و BC-8 من المربع UV بتل القراصة الشمالي يتبين بالدفنة B انتزاع الجمجمة، أما الدفنة A يوجد معها الجمجمة

- Santana, J., & Others, 2015, P.6, Fig.4.



(شكل:6)- أجزاء عظمية منتقاة من هيكل عظمي آدمي – تل القراصة الشمالي - سوريا

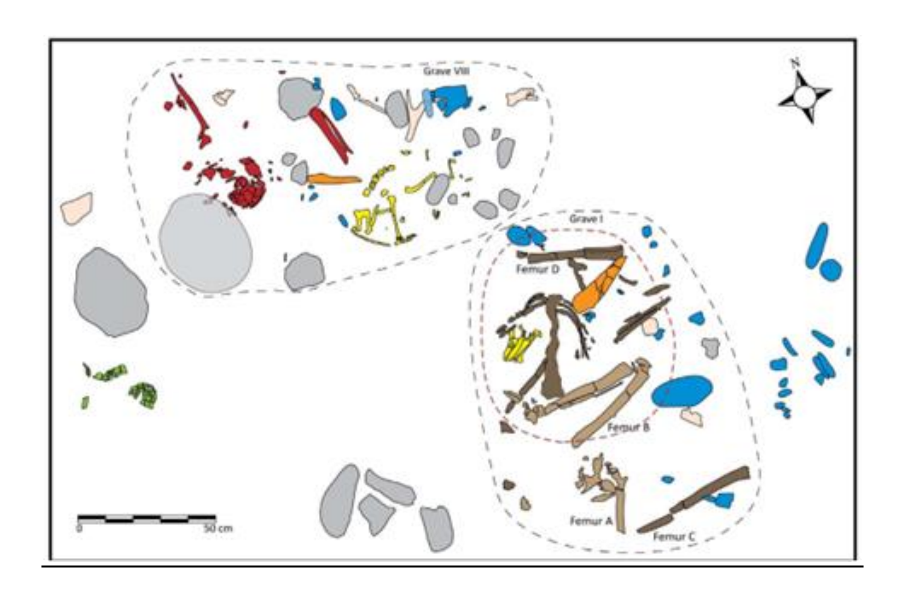
Santana, J., and Others, 2015, P.7, Fig.6.





(شكل:7)- دفنة وادى الزرقاء بالأردن – نهاية العصر الحجري القديم الأعلى

Richter, T., & others, 2010, fig.3, 5.



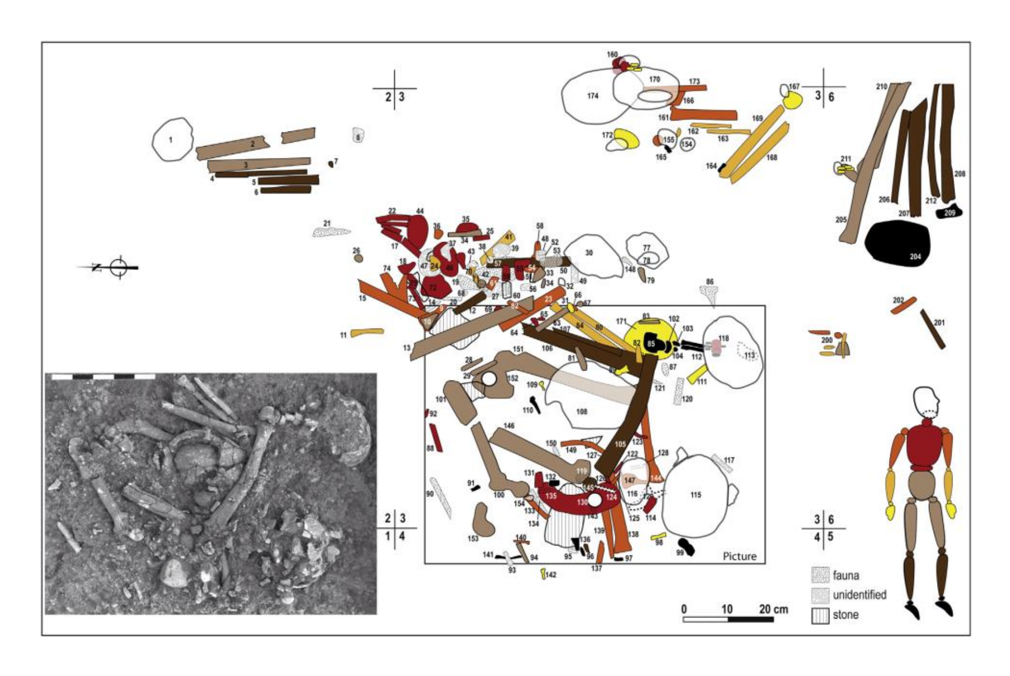
(شكل:8) – رسم توضيحي يبين مقبرة تجمع بين جمجمة ثعلب وهيكل عظمي لرجل تحيط به وتعلوه بعض الكتل الحجرية – عيون الحمام Ùyun al-Hammam بالأردن

Maher, L.A., & Others, 2011, p.4-5., fig.3.



(شكل:9)- الدفنة رقم 2067 بحوض الحولة بفلسطين وهي لسيدة راقدة على ظهرها، وتم وضع كتلة حجرية على حافة المقبرة أعلى الجمجمة

Vered, E., & Dani, N., 2015, vol. 41, no2., Fig.9.



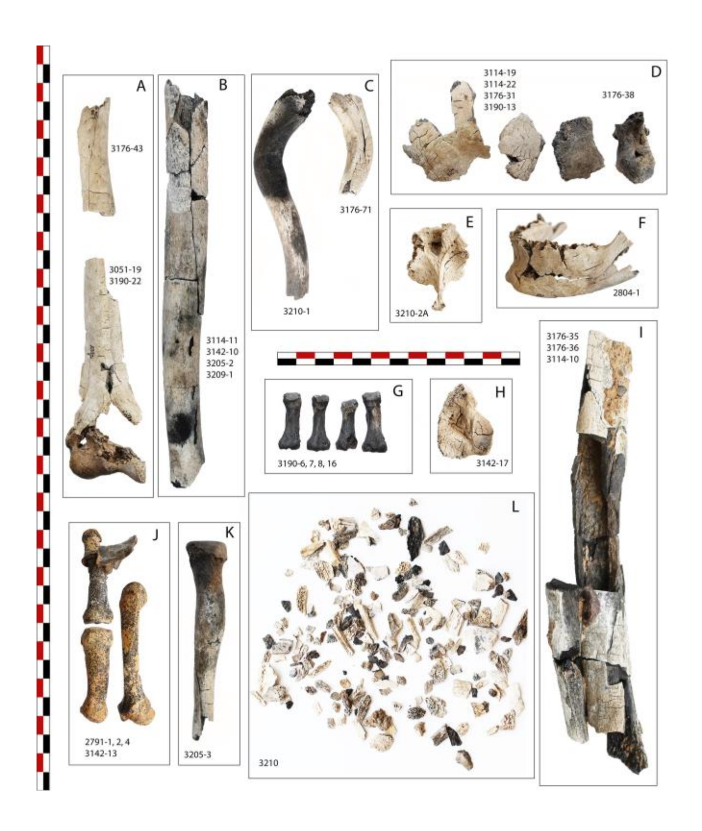
(شكل: 10)- مقبرة الأزرق 18 بالأردن ويتبين بها العظام الآدمية المجمعة في حفرة الدفن – العصر النطوفي

Bocquentin, F., & Garrard., A., 2016, 10, Fig.2.



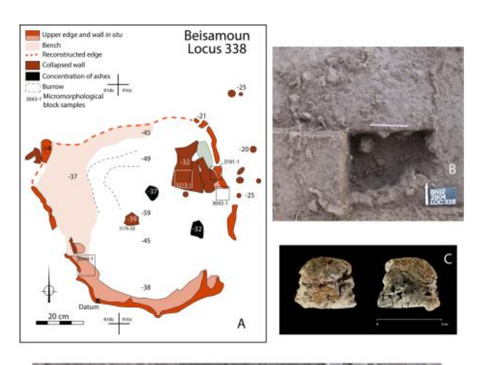
(شكل:11)- المقبرة رقم O24 عثر عليها شمال شرق وادي فينان، المقبرة دفن في حفرة ضيقة بوضع القرفصاء.

Mithen, S., & Others, 2015, Fig.6.17.



(شكل: 12)- بقايا عظام دفنة بيسان المحترقة بالأردن

Bocquentin, F., & Others, 2020: Fig.10.

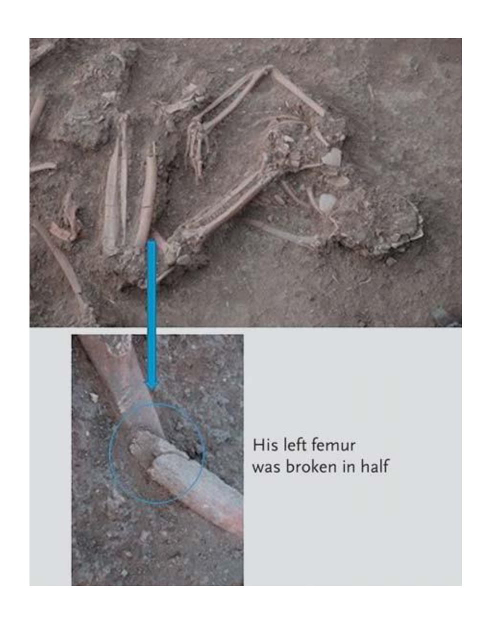




(شكل:13)- المقبرة المحترقة لرجل بيسان ووضعية الدفن – الأردن

Bocquentin, F., & Others, (2020), Fig.2.





(شكل:15)- الكسور الناتجة عن العنف في الهيكل العظمي رقم 803 لامرأة - موقع تل الكرخ

Tsuneki, (2011), Fig.9.

(شكل:14)- الكسور الناتجة عن العنف في الهيكل العظمي رقم 1054 لرجل بالغ - موقع تل الكرخ – سوريا

Tsuneki, (2011), Fig.7.

قائمة المراجع العربية والمترجمة

أبو غنيمة، خالد (1998). "أساليب الدفن وعاداته في العصور الحجرية الأولى (حوالي 95000- 8500 ق.م) في بلاد الشام"، مجلة أبحاث اليرموك، سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، المجلد 14، العدد 4، ص 97، 100.

أبو غنيمة، خالد (2001). أساليب الدفن وعاداته خلال العصر الحجري الحديث، مجلة دراسات تاريخية، العددان 75 / 76 أيلول- كانون أول، ص 4، 9، 13، 23.

أور، فرنسيس (1995). حضارات العصر الحجري القديم، ترجمة سلطان محيسن، دمشق، ص 64، 123.

البزور، شريف عادل شريف (2003). عمارة المباني الدائرية في بلاد الشام خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار "أ" (8300 – 7500 ق.م)، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، الأردن، ص 23-24، 34.

تسونكي، اكيرا؛ حيدر، جمال (2008). تل الكرخ 2008، تقرير مواسم التنقيب 2007، مجلة الوقائع الأثرية في سورية، العدد 3، ص 109.

تسونكي، اكيرا؛ حيدر، جمال (2011). تل الكرخ 2009، مجلة الوقائع الأثرية في سورية، العدد 5، ص 181-183، 186.

سليم، أحمد أمين (2000). العصور الحجرية وما قبل الأسرات في مصر والشرق الأدنى القديم، الإسكندرية، ص 292.

تشايلد، جوردن. (1978) "العصر الحجري الجديد"، من كتاب الإنسان والحضارة والمجتمع، مترجم، دمشق، ص 201.

الحايك، مي نديم (2005). عقائد الدفن وعبادة الأسلاف في بعض مواقع شرق البحر المتوسط في عصور ما قبل التاريخ دراسة (أثرية-أنثروبولوجية)، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآثار، جامعة القاهرة، ص 7، 122-123.

الحايك، مي نديم (2019). الاستقرار وتأثيره على السكان في العصر الحجري الحديث في سوريا) دراسة أنثروبولوجية – أثرية)، مجلة دراسات تاريخية، العدد 139، ص 14، 16، 22-23.

حسين، عبد الله (2014). تاريخ ما قبل التاريخ، مؤسسة هنداوي، القاهرة، ص 162.

الحوراني، ميسون تيسير (1998). الطقوس والمعتقدات في العصر الحجري الحديث في المشرق الأدنى القديم، حوالي 8500-4500 ق.م، رسالة ماجستير غير منشورة، معهد الآثار والأنثروبولوجيا، جامعة اليرموك، ص 6، 17-18، 35، 75، 78.

خليف، بشار محمد (2009). شعائر الموت ومعتقداته في المشرق العربي القديم، دورية كان التاريخية، العدد الرابع، يونيو، ص 104.

الخواجة، صادق إنعام (2007). العقيدة والإنتاج المعرفي، بحث في العلاقة ما بين العقيدة العربية وتأثيرها في الإنتاج المعرفي العربي منذ القدم – 2500 ق.م، عمان، ص 43.

الدباغ، مصطفى مراد (1974). فلسطين بلادنا ، ج2 ، بيروت، ص 51.

الدليمي، سوذان عادل (2019). "الحضارة النطوفية"، مجلة مداد الآداب، كلية الآداب، الجامعة العراقية، عدد خاص بالمؤتمرات، ص 928، 935.

رجوب، إيناس يوسف عبد الجليل (2016)، القرى الزراعية الأولى في المشرق العربي القديم، ص 40.

الرويشدى، سعدي (1969). الكهوف في الشرق الأدنى ، سومر، جـ (1 ، 2)، ص 259- 260.

صالح، عبد العزيز (2006). حضارة مصر القديمة وآثارها في الاتجاهات الحضارية العامة حتى أواخر الألف الثالثة ق.م، القاهرة، ص 130.

عبد الرحمن، عمار (2009). فنون ومعتقدات المزارعين الأوائل في المشرق العربي "الالهة الأم"، بيروت، ص 40، 71.

كفافي، زيدان (1986). القرى الزراعية في الأردن خلال العصر الحجري الحديث حوالي 8000- 4500 ق.م، مجلة أبحاث جامعة اليرموك "سلسلة العلوم الإنسانية والاجتماعية"، المجلد 2، العدد 2، ص 80.

كنجو، يوسف (2014). دراسة أنثروبولوجية لقبور العصر الحجري الحديث في تل القرامل، شمالي سورية، مجلة أدوماتو، العدد 30، ص 8-10، 16.

كوفان، جاك (1988) ديانات العصر الحجري الحديث في بلاد الشام، مترجم، ط 1، دمشق، ص 74.

الماجدي، خزعل (1997). أديان ومعتقدات ما قبل التاريخ، دمشق، ص 36، 42، 64-65.

محيسن، سلطان (2008). القرى الزراعية الأولى في المشرق العربي القديم، ندوة المدينة في الوطن العربي في ضوء الاكتشافات الآثارية - النشأة والتطور مؤسسة عبد الرحمن السديري الخيرية – السعودية، 52.

محيسن، سلطان (2008). دمشق: من المستوطنة إلى المملكة، دمشق، 28-29.

قائمة المراجع الأجنبية

Al-Shorman, A., & Khwaileh, A., (2011)., Burial Practices in Jordan from the Natufians to the Persians, *Estonian Journal of Archaeology*, 15, 2, P.92, 100.

Bar-Yosef, O., (1998). The Natufian Culture in the Levant: Threshold to the Origins of Agriculture, Evolutionary Anthropology, P.161.

Belfer-Cohen, A. & Hovers, E., (1992). In the eye of the beholder. Mousterian and Natufian Burials in the Levant, *Current Anthropology*, Vol. 33, No. 4 (Aug. - Oct.), P.465.

Blackman, W.S., (1916). The Magical and Ceremonial Uses of Fire, *Folklore*, Vol. 27, No. 4, Dec. 31, P. 359.

Bocquentin, F., & Garrard, A., (2016). Natufian collective burial practice and cranial pigmentation: A reconstruction from Azraq 18 (Jordan). *Journal of Archaeological Science*: Reports, Elsevier, 10, P.265-297.

Bocquentin, F., & Others, (2020). Emergence of corpse cremation during the Pre-Pottery Neolithic of the Southern Levant: A multidisciplinary study of a pyre-pit burial. *PLoS ONE* 15(8), P.11, 17, 20.

Boyd, B., (2016). "Abu Hureyra 1 in Northwest Syria: "periphery" no more", in: Fresh Fields and Pastures New: Papers Presented in Honor of Andrew M.T. Moore. Leiden, P.21.

Boyd. B., (2001). The Natufian Burials from El-Wad Mount Carmel, Beyond Issues of Social Differntion, *Journal of the Israel Prehistoric Society*, Vol, 31, P.190.

Contenson, H, (1966). De campagine at Tell Ramad, 1966, rapport preliminaire, Annales Archaelogues Arabes Syriennes, Vol 17, P.21.

Cowie, A., (2020). Oldest Known Cremation in The Near East, From 7000 BC, 13 AUGUST, ,15:02 , https://www.ancient-origins.net/news-history-archaeology/oldest-known-cremation-0014117

Garrard, A., (1991). Natufian Settlement in The Azraq Basin, Eastern Jordan, in: Bar-Yosef, O., Valla, F., (Eds.), the Natufian Culture in the Levant. International Monographs in Prehistory, Ann Arbor, P.241.

Garrod, A. E., & Bate, D. M. A., (1937). The Stone Age of Mount Carmel: Excavations at the Wady Elmughara, Vol. 1, Oxford, P.25.

Geggle, L., (2020). Oldest human cremation in the Near East unearthed, August 12, https://www.livescience.com/oldest-cremation-near-east.html

Grosman, L., Munro, N.D., & Belfer-Cohen, A., (2008). A 12,000-year-old Shaman burial from the southern Levant (Israel), *PNAS*, November 18, vol. 105, no. 46, P. 17667, 17665-17669. www.pnas.orgcgidoi10.1073pnas.0806030105

Kanjou, Y., (2009). Study of Neolithic human graves from Tell Qaramel in North Syria, *International Journal of Modern Anthropology*, Int. J. Mod. Anthrop. 2, P.26.

Kulmar, T., (2005). on supreme sky god from the aspects of religious history and in prehistoric Estonian material, in: *Folklore*,31, P. 18.

LaMotta, V.M., (1998). Mortuary Variability and Community Reorganization in the Early-to-Late Natufian Transition, Arizona Anthropologist, 13, P.38.

Lucero, L.J., & Gibbs, S.A., (2007). The Creation and Sacrifice of Witches in Classic Maya Society, in:(Vera Tiesler & Andrea Cucina, ed.,) new perspectives on human ritual sacrifice and ritual body treatments in ancient Mayan society, New York, P.45.

Maher, L.A., & Others, (2011). A Unique Human-Fox Burial from a Pre-Natufian Cemetery in the Levant (Jordan), (*PLoS ONE*, www.plosone.org, Volume 6, PP.4-5, 7-8.

Maier C.I., (2017). Off with their heads! An analysis of the Levantine plastered skulls during the Pre-Pottery Neolithic B, A thesis submitted in partial fulfillment of the requirements for graduation with Honors in Anthropology, Whitman College, P.9, 53.

Mellaart, J, (1965). Earliest Civilizations in the Near East, London, P.40.

Metcalf, B. & Huntington, R., (1991). Celebrations of Death. The Anthropology of Mortuary Ritual. Cambridge University Press, New York, P.44.

Mithen, S., and Others, (2015). "Death and Architecture: The Pre-Pottery Neolithic A Burials at WF16, Wadi Faynan, Southern Jordan", in: Mortality and the Foundations of Human Society: Sedentism and the Collective, Part II, (Renfrew, C., edit.), University of Oxford, Cambridge University Press, P.86, 95, 102, 106-107.

Perrot, J., (1966) Le Gisement Natoufien de Mallaha (Eynan), Israel L'Anthropologie, Vol. 70/5, P.437

Richter, T., & Others, (2010). An Early Epi Paleolithic sitting burial from the Azraq Oasis, Jordan, in: *ANTIQUITY*, 84, P. 321-322, 324-325.

Rollefson, G.O., & Simmons, A.H., (1987). "The Life and Death of 'Ain Ghazal", *Archaeology*, Vol. 40, No. 6 (November/December), P. 38.

Rollefson, G, O, (1999). A decorated Skull from M PPNB Ain Ghazal, *Paleorient*, Vol 24/2, P.99.

Santana, J., Velasco, J., Ibáñez, J.J., & Braemer, F., (2012). Crania with Mutilated Facial Skeletons: A New Ritual Treatment in an Early Pre-Pottery Neolithic B Cranial Cache at Tell Qarassa North (South Syria), *American Journal of Physical Anthropology*, October, P. 206, 208-209.

Santana, J., Velasco, J., Balbo, A., Iriarte, E., Zapata, L., Teira, L., Nicolle, C., Braaemer, F & Ibáñez, J.J., (2015). Interpreting a ritual funerary area at the Early Neolithic site of Tell Qarassa North (South Syria, late 9th millennium BC), *Journal of Anthropological Archaeology*, P.11.

Tsuneki, A., (2011). A glimpse of human life from the Neolithic cemetery at Tell el-Kerkh, Northwest Syria, Documenta Praehistorica XXXVIII, PP.84-86.

Vered, E., & Dani, N., (2015). Changes in burial customs from the Pre-Pottery to the Pottery Neolithic periods in the Levant: The case-study of Tel Roim West, Northern Israel. In: *Paléorient*, vol. 41, no.2. p.122

Verhoeven, M., (2002). Transformations of Society: The Changing Role of Ritual and Symbolism in the PPNB and the PN in the Levant, Syria and South-East Anatolia, in: *Paléorient*, Vol. 28, No.1, P.6, 8.

Weinstein-Evron, M., (2003). In B or not in B: A reappraisal of the Natufian burials at Shukbah Cave, Judaea, Palestine, Antiquity, P.96.